باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب هذا الباب كالمتمم للباب الذي قبله ؛ ولاسيما إذا كان بغير حساب، قوله: «من» شرطية، بلا حساب أي : لا يُحاسب لا على المعاصي، ولا على غيرها . وتحقيق التوحيد : تخليصه من الشرك، ولا يكون إلا بأمور ثلاثة : فلابد من تصوّره بعلمه قال الله تعالى : فاعلم أنه لا إله إلا الله) . (١) الثاني : الاعتقاد : فإذا علمت ولم تعتقد، واستكبرت لم تحقق التوحيد . قال الله تعالى عن الكافرين : أجعل الآلهة إلها واحدًا إن هذا لشيء عجاب (٢). فما اعتقدوا انفراد الله بالألوهية . الثالث : الانقياد : فإذا علمت واعتقدت ولم تنقد لم تحقق التوحيد، فإذا حصل هذا وحقق التوحيد، فإنَّ الجنَّة مضمونة له بغير حساب، ولا نقول إن شاء الله ، ولهذا جزم المؤلف رحمه الله تعالى وقول الله تعالى : إنَّ إبراهيم كان أُمَّةً قانتا لله حنيفا ولم يك أما بالنسبة للرجل المعين فإننا نقول : إن شاء الله . ودين (٣) لأنه أحد الرسل الكرام من أولي العزم ، ثم إنه ، وجهاده، فإنه جاهد قومه وحصل منهم عليه ما حصل . ١) سورة النحل، الآية : ١٢٠ . ٢) وقال السعدي رحمه الله في القول السديد ص (٢٠) : وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابع له، فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله . وصدقته الأعمال بأن انقادت إلى أوامر الله طائعة منيبة محبتة إلى الله، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهر وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه، وجميع أحواله كلها مقصود بها وجه الله متبعاً فيها رسول الله» . ٣) سبق ص (٢١). ثم ابتلاه الله سبحانه وتعالى بالأمر بذبح ابنه ، وقد بلغ معه السعي، أي شب، وترعرع ، تتعلق به النفس كثيرا، فصار على منتهى تعلّق النفس به . قال تعالى عنه : قال يا أبت افعل ما لم يحنث والده ويتمرد ويهرب ، بل أراد من والده أن يوافق أمر ربه، وهذا من بره بأبيه وطاعته لمولاه سبحانه انظر إلى هذه القوة العظيمة مع الاعتماد على الله في قوله : ستجدني فالسين في قوله : ستجدني تدل على التحقيق، وهو مع ذلك لم يعتمد أي جبهته؛ لأجل أن يذبحه وهو لا يرى وجهه فجاء الفرج من الله تعالى : وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين (٣)، ولا يصح ما ذكره بعضهم من أن السكين انقلبت، أو أن رقبته صارت حديدًا . قوله : قانتا . القنوت : دوام الطاعة ، والاستمرار فيها على كل حال، مديم لها في كل حال. كما أن ابنه محمدا ، ، يذكر الله على كل أحيانه"، وإن جلس ذكره، وإن نام وإن أكل، وإن قضى حاجته ذكر الله، فهو قانت آناء الليل والنهار. لأنَّه لا يصبر على هذه الأمور العظيمة إلا من أيقن بالثواب . فمن عنده شك أو تردد لا يصبر على هذا ؛ لأنَّ النفس لا تدع شيئًا إلا لما هو أحب إليها منه، فائدته . كما أن من أثنى الله عليه شرا فإننا نبغضه، ونكرهه، فنحب إبراهيم عليه السلام، ولم يكن من المشركين، ونحب الملائكة وإن كانوا من غير جنسنا، لأنهم قائمون بأمر الله ، ونكره الشياطين، لأنهم عاصون الله ، وأعداء لنا، والله ، ونكره أتباع الشياطين، لأنهم عاصون الله أيضًا . الثناء، ولنا من الثناء بقدر ما اقتدينا به فيها قال تعالى : لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) (١) وقال تعالى : وقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه (٢) . وقال تعالى : لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر (٣) . لأنَّ الإنسان أحيانًا يغيب عن باله الغرض الأول، وهو محبة هذا الذي أثنى الله عليه خيراً ، لأنَّ فائدة : أبو إبراهيم مات على الكفر، والصواب الذي نعتقده أن اسمه آزر كما قال الله تعالى : وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة) وقال تعالى : وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه (*) لأنه قال : سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) (1) . وفي سورة إبراهيم قال : وربنا اغفر لي ولكن فيما بعد تبرأ منه . أما نوح فقال : رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات (1) وهذا يدل على أن أبوي نوح كانا مؤمنين . قال الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : المغازي والملاحم والتفسير، فهذه الغالب فيها أنها تذكر بدون إسناد، وقليل منهم من ينكر القصة المكذوبة في ذلك . (٢) فالقاعدة إذاً : أنه لا أحد يعلم عن الأمم السابقة شيئاً إلا من طريق الوحي ، قال تعالى : ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله (٣) . هذه الآية سبق لها طرف وهو لكن المؤلف ذكر الشاهد . و من خشية ربهم أي : من خوفهم منه . و مشفقون أي : خائفون من عذابه إن خالفوه . فالمعاصي بالمعنى الأعم ـ كما سبق ـ (٥) شرك لأنها صادرة عن هوى مخالف للشرع، وقد قال الله تعالى : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه (1) أما بالنسبة للمعنى الأخص فيقسمها العلماء قسمين : ١ ـ شرك . ٢ ـ فسوق . إذ تحقيق التوحيد ولكن ليس معنى هذا ألا تقع منهم ولكن إذا عصوا، فإنَّهم وعن حصين بن عبدالرحمن قال: «كنتُ عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقضّ البارحة ؟ فقلت : أنا ، قلت : أما إني لم أكن في صلاة . يتوبون، ولا يستمرون عليها كما قال تعالى : والذين إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم لأنه يرى أن هذه المعصية على نفسه أثقل من الجبل أما الفاسق المستهين فيرى المعصية كما ورد في الحديث كالذباب وقع على أنفه يقول به هكذا) ولا يهمه، توبة . قوله : «انقض البارحة أي : سقط والبارحة : قال بعض أهل اللغة : وهذه المسألة تحتاج إلى تحقيق، غروب الشمس إلى طلوعها نقول الليلة . بل

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

بعضهم يتوسع متى قام من الليل قال : البارحة، فإن هذا الجلوس كان بعد الظهر. قال: وما حدثكم؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمةٍ، قوله : « فقلت أنا أي : حصين . قوله : «أما إني لم أكن في صلاة أما : أداة استفتاح ، وقيل : إنها بمعنى حقا، وعلى هذا فتفتح همزة «إن فيقال : أما أني لم أكن في صلاة أي حقا لم أكن وقال هذا رحمه الله لئلا يظن أنه قائم يصلي فيحمد بما لم يفعل وهذا خلاف ما عليه بعضهم يفرح أنَّ الناس يتوهمون أنه يقوم يصلي، وليس كمن يترك الطاعات خوفًا من الرياء ؛ لأن الشيطان قد يلعب على الإنسان، ويُزين له ترك الطاعة خشية الرياء، قوله : «ارتقيت) أي : استرقيت، مسلم: «ارتقيت) أي : طلب الرقية . فسعيد بن جبير لم يقصد الانتقاد على هذا الرجل، قال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع . قوله : «من عين ويسميها العامة الآن «النحاتة» وبعضهم يسميها قوله : «حمة» أي : سم ، لدغته إحدى ذوات السموم، والعقرب من ذوات السموم . . . إلخ . إذن فحصين استند على حديث : «لا رقية إلا من عين أو حمة»، وهذا يدل على أن الرقية من العين، أو الحمة مفيدة، وهذا أمر واقع فإن الرقى تنفع بإذن الله من العين، وكثير من الناس يقرأون على الملدوغ ، ويدل لهذا قصة الرجل الذي بعثه النبي ، فلدغ سيدهم لدغته حية فقالوا : من يرقي ؟ فقالوا : لعل هؤلاء الركب عندهم راق فجاؤوا إلى السرية ، قالوا : هل فيكم من راق؟ قالوا : نعم، فاقتطعوا لهم من الغنم، أو سبعاً، ولهذا قال : «وما يدريك أنها رقية يعني الفاتحة (١) . وكذا القراءة من العين مفيدة . وهو الاستغسال وهي أن يؤتى بالعائن، ويطلب منه أن يتوضأ، ثم يؤخذ ما تناثر من الماء من أعضائه، ويصب على المصاب، ويشرب منه، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وهناك طريقة أخرى، وهي أن يؤخذ شيء من شعاره أي : ما يلي جسمه من الثياب كالثوب ، والطاقية والسروال وغيرها، ويصب على ذلك ماء يرش به المصاب، أو يشربه . وهو مجرب . وأما العائن، فينبغي إذا رأى ما يعجبه أن يُبرك عليه لقول النبي ، ، لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف: «هلا بركت عليه(١) أي قلت : بارك الله عليك . ويقولون أيضًا لأجل تبطل العين : أنَّك تصلي على العائن صلاة الميت . قوله : ولكن حدثنا القائل : سعيد بن جبير. قوله : «عرضت علي الأمم العارض لها الله سبحانه وتعالى، والأمم جمع أمة، وهي أمم الرسل . قوله : والنبي ومعه الرجل والرجلان . الظاهر: أن الواو بمعنى أو، أي : ومعه الرجل أو الرجلان ، لكن المعنى : والنبي ومعه الرجل، والنبي الثاني ومعه الرجلان . لكن إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي . فقيل لي : هذا موسى وقومه ، فقيل لي : هذه أمتك. ثم نهض فدخل منزله . قوله : «إذ رفع لي هذا على تقدير محذوف أي : بينما أنا كذلك إذ رفع لي . الظاهر: أنه الأشخاص، أي : أشخاصًا عظيمة كانوا من كثرتهم سوادًا لأن السواد يطلق على الشخص. قوله : فظننت أنهم أمتي لأنَّ الأنبياء عرضوا عليه بأممهم فظن هذا السواد أمته ـ عليه الصلاة والسلام . قوله : «فقيل لي هذا موسى وقومه وهذا يدل على كثرة أتباع موسى عليه السلام وقومه الذين أرسل إليهم . لأن أمة النبي ، قوله : «بغير حساب ولا عذاب أي : لا يُعذبون ولا يُحاسبون كرامة وظاهره أي : لا في قبورهم ولا بعد قيام الساعة . قوله : «فخاض الناس في أولئك هذا الخوض للوصول إلى الحقيقة نظريا، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يُشركوا بالله شيئًا . وذكروا أشياء، فقال : «هُمُ ويؤيده ظاهر اللفظ . ويحتمل أن المراد الذين صحبوه في هجرته، ويؤيده أنه لو كان المراد الصحبة المطلقة لقالوا : نحن، ويمنع الاحتمال الأول : أنَّ الصحابة أكثر من سبعين ألفًا. ولو قلنا : ولدوا في الإسلام من الصحابة ما بلغوا سبعين ألفًا . وما جرى قوله : «لا يسترقون في بعض روايات مسلم) «لا يرقون» ولكن هذه (١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ، / باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذا خليلا ٨/٣، ومسلم، كتاب فضائل ٢) في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ٢٠٠/١. الرواية خطأ كما قال شيخ الإسلام، لأن الرسول، واستفعل بمعنى طلب الفعل مثل : استغفر أي : طلب المغفرة، ١) من حديث عائشة ، رواه البخاري، كتاب الطب / باب رقية النبي ، ، ٤٤/٤ . كتاب السلام / باب استحباب الرقية من العين ٤ / ١٧٢٤ . (٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن / باب فضل المعوذات ٣٤٤/٣، وأن قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٨٢/١ : « . فمدح هؤلاء بأنهم لا يسترقون : أي لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، يرقي نفسه وغيره، فإن الأنبياء كلهم سألوا الله ودعوه كما ذكر الله ذلك في قصة آدم وإبراهيم ولا يكتوون ولا يتطيرون . ومعنى اكتوى طلب من يكويه ، أما بالنسبة لمن أعد للكي من قبل الحكومة، وليس سؤال تذلل . أما بالنسبة للاعتماد على الله ففيه نوع من ضعف الاعتماد على الله، على أن في نفسي شيئًا من هذا الأمر، إذا كان الإنسان معدا لهذا الأمر، يقول : إنني مريض، والمصدر منه طيرة والتطير هو اسم المصدر، والفعل تطير. وأصله التشاؤم بالطير، أو مسموع ، أو مكان . وكانت العرب معروفة بالتطير حتى لو أراد الإنسان منهم خيرا ثم رأى الطير سنحت يمينًا ، الذي أراده . أو رأى شخصًا تشاءم، ١) رواه مسلم في صحيحه كتاب السلام / باب لكل داء دواء ٤ / ١٧٣١ . ٢) قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ٦٥/٤ : فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع : أحدها : فعله ، فإن فعله يدل

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، أو النوع الذي لا احتياج إليه بل يفعل خوفاً من حدوث الداء» . شهر شوال بالنسبة للنكاح ، ولذا قالت عائشة رضي الله عنها : «عقد علي رسول الله ، ، في شوال، وبنى بي في شوال، فأيكن كان أحظى عنده»(1). أو بشهر صفر، وهذا كله مما أبطله الشرع لضرره على الإنسان عقلاً، وسلوكًا، وكون الإنسان لا يبالي بهذه الأمور هذا هو التوكل على الله ولهذا ختم المسألة بقوله : «وعلى ربهم يتوكلون» . فانتفاء هذه الأمور عنهم يدل على قوة توكلهم . الكمال ؟ هل هذه الأشياء تدل على أن من لم يتصف بها فهو مذموم، أو فاته الجواب : أنَّ الكمال فاته إلا بالنسبة للتطير فإنَّه لا يجوز، لأنه ضرر وليس له حقيقة أصلاً . أما بالنسبة لطلب العلاج، فالظاهر أنه مثله ، لأنه عام، وقد يقال : إنَّه لولا قوله : ولا يسترقون لقلت : إنَّه لا يدخل، لأن الاكتواء ضرر محقق : إحراق بالنار، وألم للإنسان، ونفعه مرتجى لكن كلمة «يسترقون» مشكلة، فالرقية ليس فيها ضرر، إن لم تنفع لم تضر، وهنا نقول الدواء مثلها لأن الدواء إذا لم ينفع لم يضر، لأن الإنسان إذا تناول دواء وليس فيه مرض لهذا الدواء فقد يضره . وهل نقول مثلاً ما تؤكد منفعته إذا لم يكن في الإنسان إذلال لنفسه فهو لا يضر، أي : لا يفوت المرء الكمال به، مثل : الكسر، وقطع العضو مثلاً ، وغيرها . وهو أنهم لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وأن ما عدا ذلك لا يمنع من دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب للنصوص الواردة بالأمر بالتداوي والثناء على بعض الأدوية، كالعسل (١) والحبة السوداء (٢) لكان له وجه (٣) . ١) كحديث ابن عباس مرفوعًا: «الشفاء في ثلاث : شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي) رواه البخاري، كتاب الطب / باب الشفاء في ثلاث ٣٢/٤ . ٢) لحديث عائشة مرفوعًا : «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام قلت : وما السام؟ قال : الموت . رواه البخاري، كتاب الطب / باب الحبة السوداء ٣٤/٤ ، ومسلم ، كتاب السلام / باب التداوي بالحبة السوداء ٤ / ١٧٣٥ . ٣) قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد ص (١١٠) : واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظنه الجهلة، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيمي ، إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله كالاسترقاء والاكتواء، فتركهم لها ليس لكونه سبباً، لكن لكونه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت . أما مباشرة الأسباب نفسها، والتداوي على وجه لا كراهية فيه فغير قادح في التوكل فلا يكون تركه مشروعاً كما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً : ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»، قالوا : ماهو ؟ قال : الهرم» أخرجه أحمد . وقال ابن القيم في : زاد المعاد ١٤/٤ : فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات المسبباتها قدراً وشرعاً وأن تعطيلها يقدح في مباشرته في التوكل نفسه، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى من التوكل، فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم ، وإذا طلب منك إنسان أن يرقيك فهل يفوتك كمال إذا لم تمنعه ؟ الجواب : لا يفوتك لأنَّ النبي ، ، لم يمنع عائشة أن ترقيه)، وهو أكمل الخلق توكلاً على الله وثقة به ، ولأنَّ هذا الحديث «لا يسترقون» إلخ إنَّما كان في طلب هذه الأشياء، صل الله قوله : «فقال أنت منهم وقول الرسول ، هذا هل هو بوحي من الله إقراري، أو وحي إلهامي ، أو وحي رسول؟ مثل هذه الأمور يحتمل أنها وحي إلهامي، لكن رواية البخاري : اللهم اجعله منهم» تدل على أن الجملة «أنت وإلا كان معطلاً للأمر والحكمة والشرع، فلا يجعل عجزه توكلاً ، مسألة : واختلف العلماء في التداوي هل هو مباح وتركه أفضل، ومذهب أبي حنيفة : مؤكد حتى يداني به الوجوب، ومالك : يستوي فعله وتركه . وقال شيخنا كما في الشرح الممتع ـ أول كتاب الجنائز : والصحيح : 1 ـ أن ما علم أو غلب على الظن نفعه مع احتمال الهلاك بعدمه فهو واجب. ٢ ـ ما غلب على الظن نفعه ، لكن ليس هناك هلاك محقق بتركه فهو أفضل . فقال: سبقك بها عكاشة » (1) . قوله : «ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة» لم يرد النبي ، ولكن قال : سبقك بها أي : بهذه المنقبة والفضيلة أو بهذه المسألة عكاشة بن محصن

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي